سالم عبد النعمان

# سالم عبيد النعمان.. تاريخ وطن وآمال شعب

## بيان النعمان: فهد أودع والدي وثائق الحزب قبل إعدامه

**اختطف الموت من بيننا المناضل سالم عبيد النعمان ، لكنه لم يستطع أن يخطف منّا أفكاره وصورته وتأريخ العراق الذي أفنى حياته من أجله وآمال شعب في الحرية والحياة الكريمة.. لم يستطع أن يخطف محبة النعمان من ذاكرتنا ومن قلوبنا .كرس حياته لخدمة قضايا شعبه المصيرية مختاراً طريق الكفاح سبيلاً لترجمة الأفكار والنظريات إلى واقع ملموس، وكم كان حريصاً على حماية رفاقه، وكم كان دقيقاً في أحاديثه السياسية، وملتزماً بأفكار الحزب الشيوعي العراقي .منذ ريعان شبابه أدرك حجم المسؤولية الملقاة على عاتقه ، لم تثنه السجون والمعتقلات والملاحقات عن مواصلة كفاحه لتحقيق شعار "وطن حر وشعب سعيد".**

□ أربيل: سجاد حسن محي

### نشأته وانضمامه للحزب الشيوعي العراقي

في أربيل التي اختارها ملاذاً أخيراً له التقينا ابنه الدكتور بيان (للمرحوم ثلاثة أبناء وبنت واحدة: غانم طبيب اختصاص باطنية، وبيان دكتوراه في الهندسة وأستاذ جامعي، وسعد طبيب أطفال، وابنته شروق).

ولد أبو غانم في بلدة عانة بالرمادي سنة ١٩٢٣ من أسرة تمتهن تجارة الأقمشة،أكمل الدراسة الابتدائية في عانة وسافر إلى بغداد ليكمل الدراسة في متوسطة الكرخ والإعدادية في الثانوية المركزية ثم دخل كلية الحقوق سنة ١٩٤١ ،وفي سنة ١٩٤٢ عندما كان طالبا في الحقوق انضم إلى صفوف الحزب الشيوعي العراقي عن طريق حسين الشبيبي الذي كانت تربطه بالمرحوم علاقة وثيقة والتقى يوسف سلمان (فهد) في نفس السنة فقرّبه للحزب لما لمسه فيه من ذكاء وحماسة وأسندت إليه مهمة تنظيم التظاهرات لأنه كان عارفا بشوارع ودهاليز أزقة بغداد، فكان ينظم بداية ونهاية التظاهرة،ويوجه كيفية التخلص من الشرطة في العهد الملكي، فضلا عن مرافقته فهد في زياراته للتنظيمات في بغداد والمحافظات أيضا بصورة سرية .ويذكر أن فهد أرسله إلى محافظتي الحلة والناصرية لكسب الوجهاء للحزب الشيوعي.

### النضال السريّ في العهد الملكي

بعد تخرجه في كلية الحقوق سنة ١٩٤٥ فتح مكتبا للمحاماة في شارع الرشيد وأسس في المكتب أيضا دار الحكمة للطباعة والنشر تقوم بطباعة الكتب الأدبية والسياسية ولكنها في الحقيقة كانت مركزا للنشاط التنظيمي للشيوعيين إذ تطبع فيه منشورات الحزب الشيوعي وتوزع بمعية الرفاق في بغداد، وكانت لها تأثيرات كبيرة في الشارع العراقي.تعرّض المكتب لمداهمات عديدة من قبل البوليس السياسي آنذاك واعتقل المرحوم لفترات قصيرة مع بعض الرفاق خصوصا عندما كانت تحدث تظاهرات عارمة في بغداد. كان أبو غانم المسؤول التنظيمي للشهيد سلام عادل ١٩٤٥/١٩٤٧ والتقاه بعدها مرتين بصفته صديقا، لأن الشهيد سلام عادل كان قليل الظهور بصورة علنية خشية إلقاء القبض عليه من قبل الأجهزة البوليسية القمعية .

### الفترة الذهبية

يقول الدكتور بيان النعمان: هناك فترة ذهبية شهدها الحزب يذكرها والدي حيث كان هناك متسع من الحريات السياسية للأحزاب فتشكل حزب باسم حزب التحرر الوطني سنة ١٩٤٦ برئاسة حسين الشبيبي والمرحوم سالم عبيد سكرتيراً للحزب، وكان من أبرز أعضائه المحامي محمد حسين أبو العيس(استشهد في سنة ١٩٦٣ في الانقلاب الأسود) ،فنال الحزب شعبية كبيرة في وقت قصير لقربه من الطبقات الكادحة والعمال وأصبح يشكل قوة في الشارع العراقي، لكنه حين تقدم بطلب الحصول على إجازة رسمية من حكومة (توفيق السويدي) رفض طلبه من قبل الحكومة لأسباب تتعلق بارتباط أعضائه بالحزب الشيوعي العراقي (حسب ادعاء الحكومة) ، وبالرغم من هذا الرفض إلا أن الحزب ظل يعمل بحرية ومن دون رقابة صارمة من قبل الحكومة لحين سقوط حكومة السويدي، وجاءت بعدها حكومة قمعية بوليسية برئاسة أرشد العمري ،فشنت هجوما شرسا على كوادر الحزب الشيوعي وحزب التحرر الوطني، وتم في يوم أسود اعتقال القياديين وعلى رأسهم فهد وزكي بسيم وحسين الشبيبي ووالدي ،وذلك في سنة ١٩٤٧.

### أيام المعتقل..صلابة في مواجهة الجلاّد

ويواصل بيان :تم وضع الشيوعيين في سجن الكوت بادئ الأمر،وحكم على فهد وزكي بسيم وحسين الشبيبي بالإعدام ولكن هذا الحكم جمّد مدة من الزمن، وخلال هذه الفترة كان فهد ينظّم حياة السجناء يعاونه في ذلك والدي، فكل شيء يسير وفق جدول معد مسبقا، إذ هناك مجموعة من السجناء يعدون الطعام ومجموعة أخرى تهتم بالجانب الثقافي، وفي نهاية اليوم يقدم والدي لفهد ملخصاً لتحليل الوضع السياسي وآراء الأحزاب إلى جانب لتحليله مواقف الحكومة والأحزاب حسب تطورات الوضع.

وأضاف بيان :يذكر المرحوم معاناته ورفاقه داخل المعتقل فقد كانت تمارس داخله ضغوطات نفسية عليهم أبرزها الحبس الانفرادي وكان والدي يتذكر جيدا مدى العذاب الذي لاقاه زكي بسيم لأنه كان ثاني شخص في الحزب الشيوعي ومشرفاً على التنظيم بشكل مباشر إذ تم حبسه في المراحيض لأيام عديدة من دون أن يقدم اعتذاراً ليضرب مثلا رائعاً في البطولة والتحدي،أما والدي فتم إيداعه الحبس الانفرادي لمدة طويلة ،وكانت التحقيقات متواصلة مع المناضلين ليل نهار وكانت أرجلهم موثقة دائما بسلاسل حديدية ثقيلة، وكان يدير مراكز التعذيب هذه مدير التحقيقات الجنائية آنذاك بهجت العطية الذي حقق شخصياً مع والدي في المعتقل.

وفي يوم ١٤/ شباط /١٩٤٩ اقتيد فهد وحسين الشبيبي وزكي بسيم، وشخص يهودي اسمه (يهوذا صديق) عثر في جيب سرواله على قائمة بأسماء خلية حزبية في بغداد، إلى ساحة المعتقل ليرتقوا المشنقة بشموخ الجبال، وقبل أن يساق فهد إليها سلّم والدي حقيبته التي كانت تحتوي على كل وثائق الحزب ،وقال لوالدي:(هذه لك يا سالم)، وذهبوا إلى المقصلة بكل قوة وكبرياء (وهنا اغرورقت عينا دكتور بيان بالدموع) ثم أكمل حديثه: أما والدي فصدر بحقه حكم بالسجن لمدة أربع سنوات وتم نقله مع آخرين إلى سجن نقرة السلمان في السماوة ،وهناك ترأس ما يسمى بـ ( كتلة نقرة السلمان) أفرادها من المعتقلين ،ومارس نشاطا حزبيا وتم الاتصال بأعضاء الحزب خارج المعتقل عن طريق الرسائل السرية التي سرعان ما كشف أمرها من قبل الأجهزة الأمنية فحكم على والدي بالسجن لسنتين إضافيتين ثم حصلت انشقاقات داخل الحزب في المعتقل أدت إلى خروج والدي من المسؤولية.

### ما بعد المعتقل

سنة ١٩٥٣ خرج والدي من المعتقل ، يقول بيان ويواصل : بعد انقضاء مدة محكوميته لينتقل إلى عانة مبعدا مراقبا بشكل يومي لمدة عام من قبل الشرطة ومارس المحاماة وبرز في لواء الرمادي محاميا لامعا ولكنه ظل يذهب يوميا إلى مركز شرطة عانة ليوقع في سجلاتها ويبقى مراقبا مرصودا من قبلها ولم يمارس بعد خروجه من المعتقل أي نشاط سياسي بسبب الانشقاقات التي حصلت داخل الحزب الشيوعي في المعتقل، وبعد ثورة ١٤/ تموز /١٩٥٨ أصبح والدي قاضيا في محكمة محافظة الناصرية لمدة أربعة أشهر ،بعدها نقل إلى محكمة الرمادي ثم إلى محكمة الحلة ولم ينتم إلى أي حزب سياسي وبات معروفا لدى الأوساط الثقافية والسياسية كشخصية تقدمية ديمقراطية ،ومع هذا تعرض للاعتقال مرة أخرى سنة ١٩٥٩ بعد خطاب الزعيم عبد الكريم قاسم في كنيسة مار يوسف في الكرادة الشرقية وتم إطلاق سراحه بعد مدة قصيرة.

### انقلاب شباط الأسود

وفي ٩/شباط/ ١٩٦٣ يوم الانقلاب الأسود اعتقل مرة أخرى على يد قوة من الحرس القومي في مدينة الحلة عندما تسلم البعثيون السلطة علما أنه لم تكن لدى الوالد أي صلة تنظيمية بالحزب ولكن كان فكره تقدمياً واضحاً ،وبعد اعتقاله بعدة أيام تأكد الحرس القومي أنه ليس عضواً في الحزب الشيوعي لذا أطلق سراحه من السجن بضمان محل عمله، وفي اليوم التالي لإطلاق سراحه أخبره زميله في محكمة الحلة(القاضي حسن علي التكريتي) أن قوة من الحرس القومي مقبلة من الرمادي إلى الحلة لاعتقال والدي وإعدامه وطلب منه ترك الوظيفة والاختفاء مدة من الزمن ،فما كان من والدي إلا أن قدّم إلى القاضي طلب إجازة مفتوحة وقصد العاصمة بغداد مختفيا.

د. بيان النعمان يقرأ "المدى"

**كانت له علاقة قوية بالسيد عزيز شريف الذي كان وزيراً للعدل وهو شخصية تقدمية ورئيس مجلس السلم العالمي في ما بعد أواخر السبعينات وكان يطلعه على مجريات المباحثات بين حكومة بغداد وقيادة الثورة الكردية وعمل مفكرا مساندا لعزيز شريف لضمان حقوق الشعب الكردي في نيل حقوقه القومية المشروعة إلى أن صدر قانون الحكم الذاتي ١١ آذار ١٩٧٠.**

### عندما يكون السياسي قاضياً

يواصل بيان ذكرياته عن والده: انتقل الوالد إلى بغداد سنة ١٩٦٤ وعمل قاضيا في محكمة استئناف بغداد الرصافة مؤديا واجبه المهني بكل نزاهة وإخلاص بشهادة من عاصروه ، وأذكر هنا قرارا جريئا اتخذه المرحوم في إحدى القضايا فقد أسقط وزير الداخلية في زمن عبد السلام عارف الجنسية العراقية عن أحد المواطنين كونه شيوعيا، فأبطل والدي قرار وزير الداخلية بقرار قضائي مستندا في قرار الإبطال إلى ثغرة قانونية ببراعة وهي أن الشخص الذي يخدم العلم (الخدمة الإلزامية)يعد عراقيا ويستحق الجنسية العراقية فاستشاط وزير الداخلية غضبا وقدم شكوى إلى عبد السلام عارف من والدي (القاضي سالم عبيد) وقال لعبد السلام: هل يجوز أن يكون في العراق الآن قاضٍ شيوعي؟ فاتصل عبد السلام عارف بوزير العدل آنذاك السيد كامل الرواف وقال له: هل عندك قاض اسمه سالم عبيد وما رأيك به؟ فأجابه الوزير: إنه من أنزه القضاة في العراق فلم يتخذ عبد السلام أي إجراء بحق والدي.

واستمر في محكمة استئناف الرصافة من ١٩٦٤ إلى ١٩٦٨ ،وبعد انقلاب ١٧ تموز ١٩٦٨ حدث ما لم يكن في الحسبان...ففي أحد الأيام عندما كان والدي جالسا في مكتبه بمحكمة الاستئناف اتصل به هاتفيا رئيس الجمهورية آنذاك أحمد حسن البكر طالبا من الوالد مقابلته شخصيا!!

فذهب والدي إلى القصر الجمهوري والتقى البكر الذي قال له: إنهم (يقصد البعثيين) جاؤوا بفكر مختلف عن ١٩٦٣ ،فهم منفتحون على الأحزاب التقدمية والحزب الشيوعي ويطلبون التعاون مع الحزب وأنت بصفتك قاضيا مرموقا أطلب منك قبول منصب المشاور القانوني لمجلس قيادة الثورة!!

طلب والدي مهلة للتفكير، وأجرى اتصالات مكثفة لأخذ آراء أصدقائه والمقربين له ومنهم :عبد الوهاب محمود نقيب المحامين العراقيين، بعد عدة أيام وافق الوالد على المنصب بشروط وهي أن تكون له حرية إبداء الرأي وأن لا يتدخل أحد بمسائل القضاء فضلا عن رفضه تسلم أي راتب أو مكافآت إضافية واكتفى براتبه كقاض في محكمة.

وكان شرط عدم التدخل في شؤون القضاء عامل قوة له في عدم الرضوخ لضغوطات حزب البعث الحاكم وكان يقول للبكر: صديقك من صدَقَك لا من صدَّقَك، وأخبره أن مهمته تنحصر في إبداء المشورة القانونية ولكم حرية الأخذ بها من عدمه، وقد ترك والدي عمله كمستشار في مجلس قيادة الثورة بمحض إرادته ولم يكمل السنة الأولى في عمله ،لأنه لمس الاتجاهات الاستبدادية للبعث وأن وجوده بات ينطوي على مخاطر كبيرة فآثر الابتعاد وعيّن قاضيا سنة١٩٦٩ في محكمة التمييز وهي أعلى سلطة قضائية مدنية في العراق حتى تقاعده من الوظيفة سنة ١٩٨٦.

### العلاقة بالثورة الكردية

كانت له علاقة قوية بالسيد عزيز شريف الذي كان وزيراً للعدل وهو شخصية تقدمية ورئيس مجلس السلم العالمي في ما بعد أواخر السبعينات وكان يطلعه على مجريات المباحثات بين حكومة بغداد وقيادة الثورة الكردية وعمل مفكرا مساندا لعزيز شريف لضمان حقوق الشعب الكردي في نيل حقوقه القومية المشروعة إلى أن صدر قانون الحكم الذاتي ١١ آذار ١٩٧٠ ،إذ كان انتصارا للشعب الكردي في الاعتراف بحقوقه القومية المشروعة.

### العلاقة مع فخري كريم

وعن علاقة المرحوم سالم عبيد النعمان بالأستاذ فخري كريم يروي لنا ابنه ما سمعه من والده فيقول: كانت تربطه بفخري كريم وشائج صداقة قوية فكرية بشكل خاص ، وكان فخري كريم يرى في والدي رمزا وطنيا من زمن الحلم المضيء وبالمقابل فإن الوالد كان يصفه بأنه:(مناضل قوي وصحفي لامع ومحترف وسياسي بارع)

وللأمانة ،يقول بيان، هذا النقل هو حرفي عن لسان والدي المرحوم ،فكان كثير الإشادة به عندما كان الأستاذ فخري مدير تحرير جريدة طريق الشعب في سبعينات القرن الماضي إذ كان يعمل على إصدارها بكل مهنية وجرأة فكانت جذابة بمظهرها ومحتواها تحمل بصمات هذا الرجل الذكي والمخلص لمبادئه وهذا أقل ما يقال بحقه.

ونقل د. بيان شكر عائلة الفقيد لرئيس مؤسسة المدى للاعلام والثقافة والفنون على اهتمامه ومتابعته رفاق درب النضال.

### نشاطاته الفكرية

يواصل ابنه الحديث ليعرّج على إصدارات والده فيقول: أصدر في سنتي ١٩٧٢/١٩٧٣عدة بحوث قانونية أثارت جدلا واسعا في الأوساط الثقافية العراقية بسبب انتقادها القوانين المتخلفة المعمول بها منذ زمن بعيد ورؤيته بضرورة استبدالها بأخرى تقدمية تضمن حقوق الطبقات المسحوقة والكادحة في المجتمع ، وتعرّض والدي لهجوم عنيف من اليمين لكنّ هناك معسكرا كبيرا مؤيدا لها وأحرجت هذه البحوث الحكومة البعثية ،وأبرز تلك البحوث:(آراء في الفقه والتشريع) و(العملية التشريعية سياسيا واقتصاديا واجتماعيا) بالإضافة إلى كتب أخرى في مواضيع شتى لاقت ردود أفعال مختلفة.وله كتاب " الحزب الشيوعي العراقي بقيادة فهد " وكتاب آخر هو "نصف قرن من تأريخ وطن " وهما من إصدارات دار المدى .

## سالم عبيد النعمان .. ذاكرة وطنية

ولد سالم عبيد النعمان في مدينة عانه بالأنبار في العقد الثاني من القرن المنصرم واكمل دراسته في كلية الحقوق وعمل مهنيا في الخمسينات كقاضٍ موسوم بالنزاهة والخبرة في محاكم العراق ومحكمة التمييز قبل احالته على التقاعد عام ١٩٨٢ .

توفي في ٢٢ شباط ٢٠١٢ في احد مستشفيات اربيل حيث كان يعالج من مرض ألم به. والقاضي النعمان معروف الاوساط القضائية والسياسية والثقافية العراقية والعربية بكتاباته المتميزة . تخرج في كلية الحقوق بجامعة بغداد واسهم منذ بواكير شبابه في الحركة الوطنية العراقية وكان على صلة وثيقة بالمناضل والسياسي جعفر ابو التمن وقد انتمى الى جماعة الاهالي في الثلاثينات من القرن الماضي وصار مديرا مسؤولا عن جريدة الاهالي. يعد القاضي النعمان من ابرز الرجال العراقيين المؤمنين بحركة التقدم والحرية . وقد كان عضوا في المجلس العراقي للسلم والتضامن . التمس من الزعيم الركن عبد الكريم قاسم رئيس الوزراء والقائد العام للقوات المسلحة عدم تنفيذ حكم الاعدام سنة ١٩٥٩ برفعت الحاج سري وصحبه فوعده بذلك ولكنه عاد فأعدمهم وتألم الاستاذ النعمان لذلك وكان هذا من مواقفه المشهوده . كتب مجموعة كبيرة من الدراسات والبحوث والمقالات في موضوعات مختلفة منها عن فلسفة التشريع والوصية الواجبة وألف كتبا منها كتابه : " نصف قرن من تاريخ وطن " وكتابه " الحزب الشيوعي العراقي بقيادة فهد " . بشر بفشل مشروع بريمر القائم على فكرة المحاصصة .

تراث الوالد في توثيق مسيرة الحزب الشيوعي

د. بيان النعمان مع مراسل المدى في أربيل